

هجمات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني كما خطط لها زيغود يوسف
من خلال المصادر الفرنسية، جريدة L'Echo d'Alger أنموذجا

20 August 1955 attacks in the north east of Algeria throught
a colonial newspaper "l'echo d'Alger".

د. عمر بوضربة

قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف - المسيلة.

الملخص:

يتناول المقال موقف الصحف الاستعمارية الفرنسية من أحداث الثورة الجزائرية بمختلف نواحيها، وأبرز مثال على ذلك صحيفة L'Echo d'Alger التي مثلت الصحيفة النموذجية التي رافقت أحداث الثورة الجزائرية. وحاولت الثورة تغطية حقائقها. غطت هذه الصحيفة أحداث 20 أغسطس 1955 في شمال القسنطيني منذ بدايتها وحاولت تحليلها من خلال معالجة خطة العمليات وقائدها زيغود يوسف، وحاولت تحديد أهداف الاعتداءات على الداخل والخارجي، وعلى جميع المستويات عسكريا وسياسيا وحتى دبلوماسيا. كما تناولت الصحيفة ردود الفعل العسكرية والسياسية والدبلوماسية الفرنسية، بالإضافة إلى نتائج الهجمات والقمع الأعمى الذي تقوم به القوات الفرنسية بكافة أنواعها. الكلمات المفتاحية: هجومات؛ الشمال القسنطيني؛ الثورة الجزائرية؛ زيغود يوسف؛ الصحف الكولونيالية؛ جريدة صدى الجزائر.

Abstract :

The article deals with the position of the French colonial newspapers on the events of the Algerian revolution in its various aspects, and the most prominent example is the newspaper "L'Echo d'Alger", which represented the exemplary newspaper that accompanied the events of the Algerian revolution and tried to cover its facts completely away from the impartial media mission.

This newspaper covered the events of the August 20, 1955 attacks in north east of Algeria since its inception and tried to analyze it by addressing the plan of operations and its leader, Zigoud Youssef, and tried to outline the goals of the attacks on the internal and external levels, militarily, politically and even diplomatically

The newspaper also dealt with the French military, political and diplomatic responses, in addition to the outcome of the attacks and the blind repressions carried out by the French forces of all kinds.

Keywords : French colonial newspapers; the August 20, 1955 attacks; , Zigoud Youssef; "L'Echo d'Alger".

تقديم

تناولت المصادر الفرنسية أحداث الثورة الجزائرية من مختلف جوانبها وحاولت أن تصفها في سياق يخدم الطرح الرسمي الاستعماري الفرنسي، وتشكل الصحافة الكولونيالية إحدى هذه المصادر التي غفل عنها كثير من الباحثين، ولعله من المؤكد أن جريدة L'Echo d'Alger مثلت بحق الجريدة النموذجية التي واكبت أحداث الثورة الجزائرية وحاولت أن تغطي وقائعها بشكل بعيد كليا عن المهمة الإعلامية المتجردة، فقد غطت أحداث هجمات 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني منذ بدايتها وحاولت أن تحللها بالتطرق لمخطط العمليات وقائدها زيغود يوسف وحاولت أن ترسم أهداف الهجمات على الصعيدين الداخلي والخارجي عسكريا وسياسيا وحتى دبلوماسيا، وتناولت الجريدة كذلك ردود الفعل الفرنسية عسكريا وسياسيا ودبلوماسيا، إضافة إلى تطرقها لحصيلة الهجمات وعمليات القمع الأعمى التي قامت بها القوات الفرنسية بمختلف أنواعها. هذا ما سيشكل موضوع مقالنا بشكل مفصل إن شاء الله تعالى.

1- لمحة عن مخطط وقائد هجمات 1955/08/20 "زيغود يوسف":

ولد يوسف زيغود في 18 فيفري 1921 بدوار الصواذق دائرة زيغود يوسف حاليا، ودرس المرحلة الابتدائية بالمدرسة الفرنسية التي تحصل منها على الشهادة الابتدائية، لكنه لم يتمكن من مواصلة الدراسة فانتقل إلى الحياة المهنية ليشارك في إعالة أسرته؛ فمارس حرفة النجارة والحدادة وأتقنهما؛ وعمل حدادا في كوندي سمنديو (حاليا زيغود يوسف). أما بالنسبة لمساره النضالي السياسي فقد انضم زيغود إلى حزب الشعب الجزائري (PPA) سنة 1940 أي خلال فترة السرية بعد حل الحزب سنة 1939 من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية، ثم شارك في مظاهرات 8 ماي 1945، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية و إعادة تشكيل الحركة الوطنية وظهور الحزب الوطني الاستقلالي بتسمية جديدة "الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية" MTLD انضم إليها وأصبح من إطاراتها المحلية ما أهله للترشح في قائمتها¹.

2- لمحة عن جريدة 'L'écho d'Alger':

تعتبر جريدة "L'écho d'Alger" من أقدم وأعرق الصحف الاستعمارية في الجزائر والتي ظهرت في مطلع القرن (20) العشرين²، إذ جاءت في فترة عرفت بتطور "الصحافة الشعبية ذات السحب الكبير" (1871-1914) إذ أصبحت الجريدة في هذه الفترة إنتاجا استهلاكيا متداولًا، وتعرف هذه الفترة بالعصر الذهبي للصحافة، حيث عرفت تطور تقنيات الطبع وظهور ديمقراطية وحرية الصحافة، وتمثل هذه المرحلة (1871-1914) "أروع مراحل" الصحافة الفرنسية، إذ تضاعفت عناوينها، وأصبح لها نفوذ سياسي، وأصبحت تعطي أبعادا وطنية وقومية للكثير من الأزمات³. وفي هذا السياق ظهرت هذه الجريدة بالجزائر حتى توأمت بتطور فئة المعمرين وتنامي نفوذهم في كل الميادين، فبالإضافة إلى نفوذهم الاقتصادي فإنهم تمكنوا من إحراز نفوذ موازي في الميدان السياسي وذلك عن طريق وصولهم إلى مناصب قيادية في الإدارة الفرنسية بالجزائر، ومن ثم كان لزاما عليهم أن يوجدوا منابر إعلامية تدافع عن أطروحاتهم وتكون أداة لنشر أفكارهم ووجهات نظرهم والدفاع عن مصالحهم المادية، وذلك بالتأثير في قرارات الإدارة، ومن هذا المنطلق قاموا بإنشاء صحف عديدة عبر مختلف أنحاء الوطن، وكانت أهم هذه الصحف من حيث عدد سحبيها

وانتشارها عبر التراب الوطني "صدى الجزائر" التي كانت توزع حتى بفرنسا ذاتها، وهي جريدة الملياردير المستدمر "جاك ديرو"، وكانت "صدى وهران" "L'écho d'Oran" تابعة لعائلة "لافون" و "برقية الجزائر" "La dépêche Algérienne" "لبيبي وروب" وأما "البرقية اليومية" "La dépêche quotidienne" التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية خلفا لبرقية الجزائر فكانت من ملكية "بورجو"⁴.

وقد عرفت جريدة "صدى الجزائر" تطورا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية مع مجيء آلان دوسيريني على رأسها، والذي جعل منها أكبر "جريدة للأقدام السوداء" بالجزائر، حسب تعبير شارل ديغول حيث أعطاهما هذا الأخير صبغة جديدة إذ جعل منها منبرا سياسيا ذا تأثير في توجيه السياسة الاستعمارية في الجزائر.

فبالإضافة إلى كونه رجل صحافة حيث مارسها لمدة (20) عشرين عاما، فهو رجل سياسة كذلك، حيث انتخب مرتين نائبا بالجمعية الجزائرية، ومن ثم لا نستغرب إذا وجدنا الجريدة من المدافعين الأقوياء عن "الجزائر فرنسية" حيث كان يرى الرجل بأن الجزائر كانت "فرنسا جديدة"⁵.

وكانت جريدة "صدى الجزائر" منذ 01 نوفمبر 1954 وإلى تاريخ توقيفها من طرف السلطات الفرنسية تصدر الحملة السياسية ضد سياسة الحكومة إذا استلزم الأمر ذلك، وتوجهها في ظروف أخرى، وتتزعّم الحرب النفسية ضد الثورة بالترويج للشائعات وبتزييف الحقائق⁶.

وتم توقيف الجريدة بأمر من السلطات الفرنسية بعد فشل "انقلاب الجنرالات" في أفريل 1961⁷. لأنها كانت رفقة رئيسها آلان دوسيريني مؤيدة وداعية له.

ومن خلال هذا يظهر لنا أهمية وموقع الجريدة من الأحداث السياسية الكبرى في الجزائر آنذاك ومن ثمة أهمية دراستها وتحليل محتواها.

3- كيفية الإعداد لهجمات 1955/08/20:

يبدو جليا من خلال المصادر التي أُرخت لهجمات 1955/08/20 أن زيغود يوسف خطط لها منذ بداية صيف 1955 ولم يترك مجالا للصدفة والارتجال تفاديا لتكبيد الثورة خسائر وسلبات تعود عليها بالوبال وهي تمر بفترة صعبة على مختلف الأصعدة؛ السياسية والعسكرية، وفي هذا السياق عقدت الاجتماعات الأولى في شهر جويلية لتنسيق الجهود وإبلاغ التعليمات لقادة النواحي.

فقد عقد أول اجتماع في دشرة الزمان على الطريق الجبلي الرابط بين سكيكدة والقل وضم مسؤولي الناحية الثانية للمنطقة الثانية، وتلاه اجتماع ثاني موسّع في دوار المجاهدة ضمّ جميع ضباط وجنود المنطقة الثانية، و ذكر العقيد علي كافي من حضروا الاجتماع؛ عمارة بوقلازّ بمرافقة اثنين من مساعديه عن ناحية سوق أهراس، حيث قدّم لهم زيغود الأوامر و التعليمات استعدادا لليوم الموعود، وبعد الانتهاء من الاجتماع وصل كل من قائد الناحية الأولى عبد الله بن طوبال على رأس فرقة؛ وقائد الناحية الثانية مصطفى بن عودة؛ فتسلّما بدورهما التعليمات والتحقا بمواقعهما، بينما تكفل زيغود بناحيته-الثالثة-وكان يساعده علي كافي؛ صالح بونيدر؛ بشير بوقادوم؛ إسماعيل زيقات؛ مسعود بوجريو؛ إبراهيم شيبوط؛ عبد المجيد كحل الراس؛ رابح بلوصيف وغيرهم⁸.

أعطى زيغود يوسف تعليماته وأوامره بأن ينذر جميع النواب الجزائريون في المجلس الفرنسي وإلا فإنهم سيعدمون؛ كما أعطى أوامره كذلك بمقاطعة المحاكم الاستعمارية، وتمّ إعداد قوائم بأسماء العملاء والخونة الذين سيستهدفون بالتصفية وكان من ضمنهم علاوة عباس ابن أخ عباس فرحات وعباس بن الشيخ الحسين⁹.

كما أرسل زيغود برسالتين إلى المنطقتين الأولى (الأوراس) والثالثة (القبائل) دعاهما إلى القيام بعمليات منسقة، لكن هذه المحاولة لتحضير هجمات موسعة فشلت بسبب وجود بن بولعيد في السجن و تزامن وصول مبعوث زيغود إلى الأوراس بحادث استشهاد شهباني بشير وعدم تعيين خلفه بعد، في حين اغتيل المبعوثان الآخران في البويرة بعد وقوعهما في قبضة المصاليين.

4- أصول هجومات 1955/08/20 من خلال "Lécho d'Alger":

إن ما حدث بالشمال القسنطيني في 20 أوت 1955 شكل حقيقة فاجعة كبرى وزلزلا عنيفا على المعمرين والسلطات الفرنسية عموما، وحتى على صحافتهم في الجزائر، ومثالنا على ذلك جريدة "صدى الجزائر" "Lécho d'Alger" التي قمنا بدراسة موقفها ورؤيتها مما سمته بـ "الحوادث" "Les événements".

والملاحظة الأولية لرؤية الجريدة لأصول الثورة ككل؛ وهجومات 20 أوت 1955 خصوصا؛ أنها لم تتغير بل زادت تعمقا وتثبيتا وانتشارا، خصوصا فيما يتعلق بالدور الخارجي فيها، وكان أول متهم وجهت إليه الجريدة أصعب الاتهام هو القاهرة، حيث ورد في إحدى مراسلات الجريدة من قسنطينة أن: «الانتفاضة كانت مدبرة من القاهرة من أجل: لفت أنظار الهيئات الدولية للوضعية في الجزائر – وأيضا من أجل حفر خندق عميق عن طريق الدم المراق بين الأوروبيين والمسلمين»¹⁰.

وقد أصبحت هذه النظرة عامة طوال الأيام التالية للهجومات، خصوصا وأن الجريدة تتكلم عن هذا الأمر- التدخل الأجنبي- على أنه حقيقة لا يرقى إليها شك، وهذا مديرها العام (ألان دوسيريني) يكتب في إحدى افتتاحياته مطالبا الحكومة بالرد والفعل أيضا «كيف وبعد الاطلاع رسميا في الأيام الأخيرة على المشاركة الأجنبية في الحوادث الأخيرة كيف نقبل بلعب دور سلمي دون أدنى رد فعل بينما نحن نتحول إلى متهمين أبديين أمام هذه المحكمة التي هي الأمم المتحدة»¹¹.

وما يلاحظ هنا توافق رأي الجريدة بصفة عامة في تحليلها لأصول الهجومات أو "الحوادث" كما تسميها هي، مع رأي السلطات الاستعمارية، حيث قامت الجريدة بالتعرض لمواقفها وتصريحات قادتها التي كانت في مجملها تصب في اتجاه واحد وهو أن الحوادث مدبرة من الخارج، وخصوصا تصريح (إدغار فور) رئيس الحكومة الذي قال بأن الحوادث كانت أليمة وإننا نحس بعمق ما أصاب العائلات التي مسها الاعتداء الوحشي وأشاد بقوات الأمن، وأشار كذلك بأن هذا العمل الإرهابي له علاقة بالأوامر الخارجية¹². كما أزدت الجريدة بالإضافة إلى هذا أن تبرز من خلال تصريحات المسؤولين الفرنسيين بأن ما حدث في 20 أوت 1955 خصوصا ومنذ 01 نوفمبر 1954 عموما ليست قضية ثورة من أجل الحرية والاستقلال، ومن أن ذلك له علاقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، خصوصا وأن الجريدة شرحت مطولا مشاريع القرارات التي تقدم بها كل من (سوستال) الحاكم العام و (بورجرس مونوري) وزير الداخلية من أجل تحسين الأوضاع الاقتصادية والظروف المعيشية، والتي صادقت عليها لجنة شؤون إفريقيا الشمالية، وهي إصلاحات لها علاقة بالجانب الفلاحي بالخصوص، وإنشاء مصلحة للنشاط الإداري والاقتصادي مكلفة لدى ديوان الحاكم العام بإعداد برامج إصلاحية، وقد برر (سوستال) إنشاء هذه المصلحة بقوله: «إن الكثيرين يعتقدون بأن نشاط المتمردين مرده إلى تأييد خارجي ولكن في الوقت نفسه فإن هذا النشاط يتأكد أساسا في المناطق التي تفتقد إلى حسن التسيير والتي تتميز بسوء التجهيز»¹³.

كما أنه يمكننا أن نستنبط أمرا آخر حول نظرة الجريدة لأصول الحوادث، من بعض المقالات وتحاليل صحفيتها، ومنه مقال لمراسلها من المغرب الأقصى (روني جانون) الذي حاول أن يعطي بعدا أكبر لهذه "الحوادث"، وهو بعد حضاري، حيث يقول في مراسلته: «إن ما حدث في "وادزام" وفي غيرها يذكرنا بأن مشكل شمال إفريقيا هو أول مشكل حضارة، نمط تقارب بين حضارتين مختلفتين»¹⁴.

ومن بين وجهات النظر التي تميل إليها الجريدة أكثر في تحاليلها، وجهة نظر المعمرين بمختلف واجهاتهم، والتي تتفق على أن أصول "الحوادث" مردها إلى التراجع في السياسة الاستعمارية أو إلى ما يعرف بسياسة التخلي أو الإهمال، خصوصا عندما قامت بنشر بيان اللجنة المركزية لمقاومة تفكيك فرنسا والاتحاد الفرنسي C. Central de la Résistance la désagrégation de la France et de l'union Française التي تأسست في 18 أوت 1955، وذلك في عددها الصادر في 25 أوت 1955¹⁵. وهذا نظرا لاقتناع الجريدة ومديرها العام بالخصوص (الآن دوسيريني) بتحليل هذه اللجنة الذي كان من بين أعضائها ومناضليها النشيطين رفقة الكثير من المعمرين وقدماء المحاربين سواء في فرنسا أو الجزائر.

ثم أن الجريدة تتجاهل التنظيم الحقيقي الذي كان وراء هذه الهجومات وهو جبهة وجيش التحرير الوطني، حيث لم يرد بالجريدة اسم هاذين التنظيمين مطلقا، ما عدا إشارتين مقتضبتيين إلى حزب الشعب الجزائري في مناسبتين فقط، الأولى عندما أوردت رواية لأحد المعمرين الذي شاهد "الفلاحة" يوم 20 أوت 1955 بمدينة سكيكدة، والذين كانوا يمشون في صفوف منظمة وينشدون النشيد الرسمي لحزب الشعب الجزائري¹⁶.

أما المناسبة الثانية فهي عند حديث الجريدة عن منظم ومخطط العمليات وقائد "المتمردين" بمنطقة الشمال القسنطيني، حيث ذكرت بأن (زيغود يوسف) كان مستشارا بلديا قديما لحزب الشعب الجزائري¹⁷. وهذا دون الإشارة إلى تنظيمه الجديد، ورغم ذلك فإننا نسجل إندهاشنا لكون أن الجريدة استطاعت أن تحدد وبسرعة مذهلة مخطط وقائد الهجومات - أي زيغود يوسف - مباشرة بعد يوم واحد فقط من وقوع الهجومات، حيث ذكرت بأنه حدد يوم الجمعة على الساعة الخامسة صباحا تاريخ الهجوم بيوم السبت 20 أوت على الساعة منتصف النهار¹⁸.

إذ تشير المراجع بأن زيغود يوسف اعتزل لمدة شهر كامل في إحدى غابات القل، إلى أن اهتدى إلى فكرة الانتفاضة الشاملة، نتيجة ركود الأوضاع في الشمال القسنطيني قبل هذا التاريخ¹⁹⁻²⁰.

وقد أحصت الجريدة عدد المتمردين بـ 3800 متمردا منهم 800 أطروا وجروا معهم 3000 فلاح في حوادث دامية وجرائم فظيعة²¹.

5- أهداف الهجومات:

أول ما يمكن الإشارة إليها هنا من ملاحظات هو علاقة الترابط بين تحليل الجريدة لأصول الهجومات أو "الحوادث" وبين تحديدها لأهدافها، فالجريدة عندما تتحدث عن أهداف هجومات 20 أوت 1955 فإنها تنطلق من رؤيتها ورؤية المستدمرين والسلطات الفرنسية لها، على أساس أنها مدبرة من الخارج أو مؤامرة خارجية، وبالتالي فإن أهدافها تتجاوز الجزائر إلى محاولة تحقيق أهداف خارجية.

ففي مراسلة لمبعوثها الخاص إلى قسنطينة ورد ما يلي: "الانتفاضة كانت مدبرة من القاهرة من أجل:

- لفت أنظار المنظمات الدولية حول الوضعية في الجزائر.

- حفر هوية عميقة بين الأوربيين والمسلمين عن طريق إراقة الدماء"²². وهو ما تبين لنا بوضوح رؤية الجريدة للثورة ككل ولهجومات 20 أوت 1955 على أساس أنها موجهة من القاهرة أي مصر التي كانت سنة 1955 تعيش هيجان الثورة وحماسها، ولأنها أيضا كانت مقرا للجامعة العربية التي ساندت شعوب المغرب العربي للدفاع عن حقوقها، حيث أنشأت مكتبا يمثل الحركات الوطنية العامة في كل من تونس، الجزائر، المغرب الأقصى²³.

وقد استطاعت الجريدة تبين الأهداف السياسية للهجومات خصوصا ما يتعلق بتدويل القضية الجزائرية خصوصا في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، حيث أن تأييد المؤتمر الأفروآسيوي في "باندونغ" 1955 فتح أمام جبهة التحرير الوطني أبواب المنظمات الدولية، لذلك وجب عليها - أي الجبهة - إثبات أن الثورة شاملة²⁴.

وكذلك الحال بالنسبة للهدف الثاني الذي أشارت إليه الجريدة وهو حفر هوة عميقة بين الأوربيين من جهة والمسلمين من جهة أخرى وذلك بإراقة الدماء، لأن "زيغود يوسف" كان يدرك بأن إشراك الشعب بكل فئاته في هذه

الهجمات رغم ما سينجر عنه من خسائر كبيرة إلا أن الجزائر ستنتصر وتتحرر²⁵. حيث أن عملا كهذا سيدفع السلطات الفرنسية إلى القمع وهو ما سيقطع خطة الرجعة على المتتردين ويوقظ الحس الوطني لدى عامة المواطنين²⁶.

وهو الأمر الذي تفتنت له أيضا السلطات الاستدمارية فيما بعد؛ فقد صرح وزير الدفاع الفرنسي الجنرال "كونيغ" بأن فرنسا تهاجم بشدة من طرف عدو يريد حفر هوة نهائية بين السكان وبين مواطنينا القاطنين بهذه المقاطعات منذ سنوات²⁷. كما أن الجريدة تتحدث عن أهداف أخرى من ضمنها أن المتتردين أرادوا بحركتهم هذه التزود بالأسلحة والذخيرة، وهو ما يؤكد بأنهم يفتقدون إلى الذخيرة والأسلحة التي تمكنهم من مواصلة الثورة؛ وتدعم الجريدة هذا بالتصريحات المطولة للحاكم العام "جاك سوستال" «السيد سوستال يؤكد بعد انفجار 20 أوت 1955 في مقاطعة قسنطينة: المجموعات المتمردة تنقصها الأسلحة وقادتهم جاءوا من النمامشة وأشعلوا نار الفتنة بهدف الحصول على المؤونة»²⁸. والتموين بالذخيرة والأسلحة هي من الأهداف الأساسية للهجمات حيث تذكر المواجه أن منطقة الشمال القسنطيني كانت تفتقد إلى الأسلحة والذخيرة مما دفع "زيغود يوسف" بأن يفكر في حل لذلك²⁹.

وما نلاحظه إذن هو أن الجريدة استطاعت وبدقة أن تحدد أهم أهداف الهجمات والتي ذكرناها آنفا، غير أن هناك أهدافا أخرى خفيت عليها نذكر منها:

- رغبة "زيغود يوسف" في إحداث نوفمبر ثان، يحرك الأوضاع بعد الجمود الذي عرفته المنطقة وحتى المنطقتين الثانية والثالثة، باستثناء المنطقة الأولى التي كانت تشهد العمليات والتي تحملت كل ضغط من قبل الجيوش الاستعمارية.

- نقل الحرب من الريف إلى المدينة.

- رفع معنويات الداخل عن طريق القيام بعملية في منتصف النهار تستهدف مواقع العدو، ويكون لها الأثر السيكولوجي الكبير.

- تدويل القضية الجزائرية وإظهار أن الشعب الجزائري طرف في الصراع إلى جانب جبهة التحرير الوطني للرأي العام الفرنسي والعالمي.

- مساندة الشعب الجزائري لنظيره المغربي في الذكرى الثانية لنفي السلطان "محمد الخامس"³⁰.

6- الحصيلة البشرية والمادية: وقد لاحظت من خلال تصفحي الأعداد التي تلت "الحوادث" أو هجمات 20 أوت 1955 من جريدة "صدى الجزائر" "Lécho d'Alger" لاحظت ذلك الفزع الكبير الذي انتاب الأوربيين عامة والجريدة خاصة، رغم ما أظهرته في هذه الأعداد من أن "المتتردين تلقوا فشلا ذريعا"³¹. وأن "الانتفاضة الدموية التي اندلعت يوم السبت أهدمت في بضع ساعات"³² والإشادة بقوات الأمن التي سارعت بتدخلاتها لإفشال الهجمات، إلا أنها من جهة أخرى تركز في حديثها عن "الحوادث" وعلى فضاة "المتتردين" ولا إنسانياتهم، وتطلق عليهم التسميات المختلفة مثل: القتلة، الإرهابيون، المتعصبون، الوندال... وغيرها من التسميات التي تفهم على أنها شتم، وتبرز أيضا جرائمهم خصوصا مات تعلق منها بالمدنيين الأوربيين، بل تكاد تغطيات مراسلها الموفدين إلى الشمال القسنطيني تنحصر في هذا الموضوع فقط، إذ تصور جرائم هؤلاء "الإرهابيين القتلة" الذين قاموا بذبح الأطفال والنساء وبقر بطون الأمهات مثلما حدث في "العالية"، حسبما ذكرت الجريدة³³.

والأمر الثاني هو إهمال الجريدة الحديث عن الضحايا الجزائريين خصوصا المدنيين منهم، والذين قتلوا بلا شفقة ولا رحمة³⁴. واكتفت بالحديث عن الخسائر البشرية التي مني بها المتتردون فقط وقد قامت الجريدة بنشر الإحصائيات الرسمية "للحوادث" سواء المؤقتة أو النهائية، أو الإحصائيات الخاصة بكل منطقة³⁵.

وهذا الجدول يوضح هذه الإحصائيات حسب الأعداد التي وردت فيها:

جدول رقم-01-

الضحايا الجزائريين	الضحايا الأوربيين	(الجريدة) العدد
-إحصائيات رسمية مؤقتة إلى غاية 21 أوت مساء: 475 قتيلا في صفوف الخارجين عن القانون 70 جريح و 800 أسيرا	إحصائيات رسمية مؤقتة إلى غاية 31 أوت مساء: 69 قتيلا بين عسكريين ومدنيين 15 جريحا	21-22 أوت 1955 رقم: 15925
- إحصائيات مؤقتة إلى غاية 22 أوت على الساعة منتصف النهار: المتمردون: 521 قتيلا 79- جريحا -1022 أسيرا (وإشارة بنفس العدد إلى أن عدد قتلى المتمردين بلغ الألف قتيلا!؟)	إحصائيات مؤقتة إلى غاية 22 أوت على الساعة منتصف النهار: - قوات الأمن: 26 قتيلا -الجرحى: 115 -المدنيون الأوربيون: - القتلى 46 - الجرحى: 51 - المدنيون من الفرنسيين المسلمين: -القتلى: 15 - الجرحى: 40	23 أوت 1955 رقم: 15926
-إحصائيات رسمية نهائية من الحاكم العام "جاك سوستال" عند زيارته إلى باريس: الحصيلة من 20 إلى 27 أوت: المتمردون: 1273 قتيلا الأسرى: 1024 منهم 81 جريحا (ملاحظة: أشارت الجريدة إلى أن 2300 متمردا قتلوا من 20 إلى 27 أوت ثم أعطيت بعد ذلك هذه الإحصائيات التي لم تصل إلى هذا العدد!؟)	-إحصائيات رسمية نهائية من الحاكم العام "جاك سوستال" عند زيارته إلى باريس: الحصيلة من 20 إلى 27 أوت: 123 قتيلا من قوات الأمن سواء مسلمين وعددهم: 21 قتيلا و 47 جريحا أو أوربيين: 71 قتيلا و 51 جريحا والعسكريين: 31 قتيلا و 125 جريحا	01 سبتمبر 1955 رقم: 15934

إذن فقد اعتمدت الجريدة في ذكر الخسائر البشرية من الطرفين على الإحصائيات الرسمية والتي مفادها أن عدد ضحايا الأوربيين بلغ 71 ضحية أوروبية والتي تتفق مع المراجع الفرنسية التي اعتمدت بدورها على ذات المصادر، ومن أن عدد "المتمردين" بلغ عدد قتلاهم: 1273 والأسرى 1024.

غير أن إحصائيات جهة التحرير الوطني التي قامت يومها لأول مرة بعمل إحصائي كبير على مستوى عمالة قسنطينة مشته مشته ودوار بعد دوار، نشرت يومها أسماء وعناوين إثنى عشرة ألف قتيلا وقتيلة، ويعتقد بعض مؤرخينا بأن العدد يتجاوز ذلك بكثير لأن عمليات القمع كانت وحشية، ولم تكن تفرق بين الشباب والشيوخ والنساء والأطفال³⁶⁻³⁷، فقد تم قصف المشاتي المجاورة لأهم المناطق التي تمت بها الهجومات انتقاما للقتلى الأوربيين، وورد في جريدة "صدى الجزائر" "Lécho d'Alger" - مثلا- خبر عن دك تسعة مشاتي في الشمال القسنطيني وتدميرها نهائيا باعتبار أن هذه المشاتي كانت مأوى للمتمردين، وأوردت بيانا حول ذلك للحكومة العامة بالجزائر³⁹.

ومن بين الأمور التي استخلصناها حول هذا الموضوع أيضا، هو أن الضحايا الجزائريين بالخصوص المدنيين منهم تواصل سقوطهم بفعل "عمليات التطهير" التي شنتها قوات الأمن الفرنسية بمختلف فرقها، وما يبينه لنا مثلا الإحصاء الذي استقته الجريدة من الحاكم العام "جاك سوستال" الذي أعطى حصيلة القتلى والأسرى والجرحى بين عشرين وسبعة وعشرين من نفس الشهر أي أن عمليات الانتقام دامت أسبوعا بعد 20 أوت على الأقل⁴⁰. وهو ما تؤكدته أخبار أخرى وردت في الجريدة منها ما ورد في عدد 26 أوت 1955 والذي مفاده بأن المسلمين لم يستعيدوا نشاطهم بعد، لأنه لوحظ بأن محلاتهم لا زالت مغلقة 41؛ وهذا ما يوحي لنا بالفزع الذي أصاب الجزائريين من جراء العمليات الانتقامية التي باشرت قوات الأمن الفرنسية رفقة المسلحين من المعمرين، والتي تجاوزت كل الحدود⁴². وكذلك خبر آخر ورد في العدد المؤرخ في 30 أوت 1955 والذي مفاده أن السلطات الاستعمارية بلسان "كريكو" رئيس بلدية "فليب قيل" - سكيكدة- طلب من السكان استعادة نشاطهم، إذ أن المحلات في غالبها مغلقة بعد مضي عشرة أيام عن "الأحداث" الأليمة التي ألمت بمدينة سكيكدة، وأيضا خير آخر حول هجرة سكان الأرياف لأراضيهم ودواويرهم، والتي قامت السلطات الفرنسية برمي مئات الآلاف من المناشير على كل تراب مقاطعة قسنطينة والتي ورد فيها: «ياسكان الدواوير، إن شردمة من القتلة خدعتكم يوم السبت 20 أوت. لقد أجبروكم على السير معهم في طريق الفتنة. لقد فررتم من منازلكم وتخليتم عن ممتلكاتكم، إنها مأساة كبرى بالنسبة لكم إن المسؤولين هم أولئك الذي حرّضوكم على القتل والتخريب والحرق إنهم قعدوا إلى الوراء، أنتم المخدوعون أخذتم تقتلون إن المجرمين سينالون جزاءهم ولكن كل الذين لم يشاركوا في الجرائم يستطيعون بل يتوجب عليهم العودة إلى مشاتهم حيث أنهم لن يتعرضوا لأي مكروه، فبإمكانكم تقديم هذا المنشور إلى الضباط...»⁴³.

أما فيما يخص الخسائر البشرية فإن الجريدة في أعدادها التي تلت "الحوادث" أهملت الحديث عنها، وعادت فيما بعد لتعطي بعض الإحصائيات المتفرقة عنها.

فرغم أن الجريدة حاولت أن تظهر بأن الاقتصاد الجزائري عموما لم يتضرر جراء هذه الحوادث. وهذا ما يظهر من خلال نقلها خبرا عن France Presse حول الاقتصاد الجزائري والذي مفاده أنه خارج منطقة قسنطينة لم يتأثر بالحوادث⁴⁴، أي الثورة ككل وليس "حوادث" 20 أوت 1955 إلا أنها تعترف بصفة غير مباشرة بالخسائر التي لحقت بهذا الاقتصاد في منطقة قسنطينة.

وأشارت الجريدة بهذا الشأن إلى هجرة الفلاحين لأراضيهم وأيضا عدم استعادة "المسلمين" لنشاطهم خصوصا التجاري منه، حيث لوحظت محلاتهم مغلقة إلى غاية 30 أوت 1955. وأشارت الجريدة كذلك إلى الوضعية الاقتصادية والصحية السيئة في "فليب قيل" «الوضعية الاقتصادية في فيليب قيل تزداد تازما وسوءا بالإضافة إلى تهديد خطيرين جديدين وهما: تموين المدينة ومخاطر انتشار الأوبئة "فليب قيل" تعرف أياما حزينة زادت نقص المؤونة. منذ عدة أيام. إنه صعب على المواطن الحصول على حبة بيض. من جهة أخرى قلة اللحوم المعروضة، فأغلبية الجزائريين والتجار قدموا طلباتهم إلى فرنسا وينتظرون أولى الدفعات، مما جعل من ارتفاع أسعار المواد الغذائية الأساسية أمرا حتميا».

من أجل هذا أمر المفوض البلدي "بول دومينيك كريكو" التجار المسلمين بإعادة فتح محلاتهم، وأصدر (الإذن بالمرور) الضروري للتجول في المدينة⁴⁵.

ومن هذه الخسائر التي ورد ذكرها في الجريدة:

تخريب 300 مدرسة "من نتائج الحركة الإرهابية" 300 مدرسة تبقى مغلقة عند الدخول المدرسي، نشاط الإرهابيين في مقاطعتين "بونة وقسنطينة" نتج عنه غلق 300 مدرسة التي كان من المقرر أن تستقل يوم 03 أكتوبر تاريخ الدخول خمسين ألف تلميذ أوربي ومسلم... وألف معلم ومعلمة فقدوا مناصبهم بسبب غلق المدارس في القطاع القسنطيني⁴⁶. وكذلك بلغت قيمة الخسائر في القل عقب "فتنة" 20 أوت 1955 بلغت 600 مليون فرنك⁴⁷.

هذه الأرقام والإحصائيات الخاصة بالخسائر المادية الملاحظ أنها لم ترد في المراجع، التي اطلعنا عليها على الأقل، ولذلك فمن الفائدة الاطلاع عليها في الجريدة.

الهوامش:

- محمد عباس، ثوار عظماء-شهادات 17 شخصية وطنية، دارهومة، الجزائر، 2003، ص ص: 205-235.
- ²- أشار كريستيان سوريان بأن الجريدة تأسست سنة 1909، لكن عند اطلعنا على أرشيف الجريدة – بالمكتبة الوطنية- وجدنا بأن أول عدد لها صدر سنة 1912 ينظر:
- Christiane Sourian . Hobrechts " la presse magrèbine .France ,1975, p 83.
- 3- P . Albertr et F.TERROV «Histoire de la presse», que sais je, Presse universitaire de France 3ed .1979.
- 4- Henri Allègue , La guerre d'Algérie, T1 France, 1986-p 107.
- 5- Alain de Sérigny: "L'écho d'Alger" TII: France.1974.
- ⁶- ينظر: محمد العربي الزبيري: الثورة في عامها الأول، الجزائر، 1984، ص ص 89 - 99.
- 7- Alain de sérigny : op-cit
- ⁸- علي كافي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962، دار القصة للنشر، الجزائر، 1999، ص ص: 80، 81.
- ⁹- ذكر علي كافي بأن علاوة عباس النائب عن مدينة قسنطينة لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كان يوزع منشائر مناهضة للثورة بينما قام عباس بن الشيخ الحسين بجمع الاموال و الذهب باسم الثورة ثم أخذها لنفسه، ينظر: علي كافي، المصدر نفسه، ص 82.
- 10- L'écho d'Alger , N0 15929 26 Aout 1955.
- 11- L'écho d'Alger , N0 15933 26 Aout 1955.
- 12- L'écho d'Alger , N0 15925 21-22 Aout 1955.
- 13- L'écho d'Alger , N0 15940 08 Septembre 1955.
- 14- L'écho d'Alger , N0 15930 27 Aout 1955.
- 15- L'écho d'Alger , N0 15928 25 Aout 1955.
- 16- L'écho d'Alger , N0 15927 24 Aout 1955.
- 17- L'écho d'Alger , N0 15925 21-22 Aout 1955.
- 18- Ibid .
- 19- YVES Courriers . Le temps des léopards .Fayard .France 1969, p 208
- ²⁰- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 130 وما بعدها.
- 21- L'écho d'Alger , N0 15926 22 Aout 1955.
- 22- L'écho d'Alger , N0 15929 26 Aout 1955.
- ²³- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 90.
- ²⁴- نفسه، ص 140.
- 25- YVES .Courriere , op-cit p 2104
- ²⁶- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 142-143.
- 27- L'écho d'Alger , N0 15949 18-19 Septembre 1955.
- 28- L'écho d'Alger , N0 15929 26 Aout 1955.
- ²⁹- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 129-130.
- 30- YVES Courriere op-cit , p 204-205-206.
- ومحمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 129-130 إلى 143.
- و محمد لحسن أزغيدى: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية، 1956-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 92-95.
- 31- L'écho d'Alger , N0 15926 23 Aout 1955.
- 32- L'écho d'Alger , N0 15925 21-22 Aout 1955.
- 33- ينظر الأعداد: 15945 – 15927 – 15926-15925.
- ³⁴- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 145-146.
- ومحمد أزغيدى لحسن، المرجع السابق، ص 100.
- 35- YVES Courriere op-cit , p 110-111-112.

³⁶ - ينظر الجدول السابق رقم 01-

³⁷ - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 145.

38- YVES Courriere op-cit , p 110-111-112.

39- L'écho d'Alger , N0 15926 23 Aout 1955 .

L'écho d'Alger No15934 01 Septembre1955

⁴⁰ - ينظر الجدول أو العدد 1955

41 - L'écho d'Alger , N0 15929 26 Aout 1955.

42- YVES Courriere op-cit , p 110-111-112.

43 - L'écho d'Alger , N0 15932 30 Aout 1955 .

44 - L'écho d'Alger , N0 15935 02 Septembre 1955 .

45 - L'écho d'Alger , N0 15933 31Aout 1955 .

46 - L'écho d'Alger , N0 15945 14 Septembre 1955 .

47 - L'écho d'Alger , N0 15942 10 Septembre 1955 .